

عندما يتزل البلاء بالجاهدين لا ينبغي أن يقتصر الحديث وحسب على التوصيف أو التمجيد أو الرثاء .. كما هو شائع وملموس .. وإنما يجب أن يمتد ليشمل عملية التقييم والمحاسبة والمساءلة الجادة والجريئة للنفس والمواقف والأفعال .. والنظر في جميع الأسباب التي أدت لتزول هذا البلاء .. لتفاديها .. ولكي لا تتكرر الأخطاء فيتكرر البلاء .. ويتكرر المصائب!

عندما تفشل جماعة من الجماعات الجهادية المعاصرة في تحقيق أهدافها أو بعض أهدافها .. لا يجوز أن نرد ذلك الفشل إلى مبدأ الجهاد الذي شرعه الله تعالى وأمر به .. وإلى انتهاج طريق الجهاد .. كما يفعل ذلك بعض الذين لا يفقهون .. وإنما يجب على الجماعة حينئذ أن تتهم نفسها .. وتراجع مواقفها وسياساتها .. وسلوكها بكل تجرد وإخلاص .. لتقف على الأخطاء فتتوب منها وتتفادها .. وعلى الحسنات .. فتحمد الله عليها .. وتعمل على تنميتها وزيادتها.

لا بد من أن نملك الجرأة الكافية لمحاسبة النفس على كل تقصير .. وإجراء عملية التقييم الواعية بعد كل عمل .. هذا إذا كنا جادين في المسير من أجل نصرة هذا الدين. لا بد من أن نملك الجرأة على أن نقول للمخطئ — أيأ كان — أخطأت .. وللمحسن المصيب — أيأ كان — أحسنت وأصبت .. وهذا من تمام النصح والعدل والإنصاف.

والقرآن الكريم قد دلنا على هذا المعنى؛ ففي موقعة أحد لم يتناول وحسب ما للشهداء من أجر وثواب .. بل تعدى ذلك ليبين أسباب الهزيمة .. والأسباب التي أدت لتزول البلاء بالمسلمين الجاهدين، ليتم احتناؤها وعدم تكرارها، فقال تعالى: ﴿أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا قُلْتُمْ أِنَّا هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قال ابن كثير: قال محمد بن إسحاق، وابن جريج، والربيع بن أنس، والسدي: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي بسبب عصيانكم لرسول الله ﷺ حين أمركم أن لا تبرحوا من مكانكم

فصعيتهم؛ يعني بذلك الرماة ١- هـ. فقتل من خيرة الصحابة — رضي الله عنهم أجمعين — بسبب هذه المخالفة لأمر رسول الله ﷺ سبعون رجلاً!

وفي موقعة حنين كذلك لما أعجبهم كثرتهم .. وغفلوا للحظات أن النصر من عند الله تعالى وحده .. لا بكثرة الجند .. فكانت النتيجة أن هُزموا في أول المعركة وولوا مدبرين إلا النبي ﷺ وقليلًا ممن ثبت معه من خيار الصحابة، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّبَتْ ثُمَّ لِيَتِمَّ مُدْبِرِينَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾.

وفي الحديث، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب قال: "كان إذا صلى همس، فقال ﷺ: أفطنتم لذلك؟ إني ذكرت نبياً من الأنبياء أعطي جنوداً من قومه، فقال: من يكافئ هؤلاء، أو من يقاتل هؤلاء؟ أو كلمة شبهها، فأوحى الله إليه أن احتر لقومك إحدى ثلاث: أن أسلط عليهم عدوهم، أو الجوع، أو الموت، فاستشار قومه في ذلك؟ فقالوا: نكل ذلك إليك، أنت نبي الله، فقال فصلي، و كانوا إذا فرعوا، فرعوا إلى الصلاة، فقال: يا رب أما الجوع أو العدو، فلا، ولكن الموت، فسلط عليهم الموت ثلاثة أيام، فمات منهم سبعون ألفاً، فهمسي الذي ترون أني أقول: اللهم بك أقاتل، و بك أصاول، و لا حول و لا قوة إلا بالله."

فتأملوا .. هذا نبي من أنبياء الله قال كلمة على وجه الإعجاب بجنده ومقاتليه .. قد نقول نحن في أنفسنا وإخواننا أضعافها ولا نبالي .. كانت كفارتها أن " سلط عليهم الموت ثلاثة أيام، فمات منهم سبعون ألفاً!!"

لذا أعود فأقول: أيما مصاب أو بلاء يتزل بساحة الجاهدين .. ينبغي أن ينفروا — على وجه السرعة — إلى أنفسهم ليحاسبوها ويتهموها .. قبل أن يتهموا أحداً غيرهم .. ولينظروا ماذا بدر منهم من تقصير وهم يدرون أو لا يدرون:

هل تخلفوا عن سبب من أسباب النصر وهم يقدرتون عليه ثم لم يفعلوا .. هل عصوا الله ورسوله في شيء وهم يدرون أو لا يدرون .. هل فرطوا ببعض الفرائض والواجبات .. هل تركوا سنة السواك التي كانت سبباً في تأخر نصر المسلمين في إحدى المعارك في عهد الفاروق عمر ؓ .. هل وقعوا بنوع إسراف في القتل بغير وجه حق .. هل وقعوا بنوع غدر وهم يدرون أو لا يدرون .. هل آذوا المسلمين في جهادهم وكانوا يستطيعون أن يتفادوا هذا النوع من الأذى ثم لم يفعلوا .. هل وسعوا دائرة المعركة والمواجهة أكثر من طاقتهم وإمكاناتهم .. هل ما أصابهم كان بسبب أنهم بدءوا بقتال الأفعى من جهة ذيلها ووسطها بدلاً من أن يُقاتلوا من جهة الرأس .. فانشغلوا بالصعاليك وبمن لا زبر له عن أئمة الكفر والطغيان .. هل هو بسبب استخفافهم بقوة العدو وقدراته وعدم تشخيصهم الدقيق لحجم قواته .. هل بينهم عصاة أو من فيه بعض خصال وأخلاق الخوارج الغلاة وهم يدرون أو لا يدرون .. هل بينهم ممن هم في شك وتردد من أحقية وشرعية مواجهة الطاغوت ونظامه وعصابته .. هل هو الاستعجال في قطف الثمار قبل نضجها وحلول أوان قطافها .. هل لوقوعهم بشيء من الرياء .. والإعجاب والغرور الذي يُنسي فضل الله على عبده وجنده .. وبخاصة أننا نلحظ في الفترة الأخيرة انتشار الفلاشات والصور عبر مواقع الإنترنت والتي تصور المجاهدين بصور شتى قد تؤثر على الإخلاص؛ فتُبطل العمل .. وترفع عنهم نصر الله تعالى ومدده .. فالله تعالى أغنى الأغنياء عن الشرك؛ فمن عمل لله عملاً أشرك فيه غير الله فالله منه بريء، وعمله للذي أشرك .. فالله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه ﷻ .. ومن سمع الناس بعمله سمع الله به وصغره وحقره كما ورد ذلك في الحديث .. وغيرها كثير من الأسئلة ينبغي أن يوجهوها لأنفسهم .. ويحسنوا الإجابة عنها بكل جرأة وصراحة وتجرد وإخلاص .. عسى أن



عندما ينزل البلاء بالمجاهدين

لفضيلة الشيخ

عبد المنعم مصطفى حليلة

"أبو بصير الطرطوسي"

٢٠٠٤/٧/١٧ - ١٤٢٥/٥/٢٠ هـ

www.abubaseer.bizland.com

www.altartosi.com

www.altartosi.info

لا أزال أذكر تلك المجموعة من خيرة شباب الإسلام والجهاد في زماننا المعاصر .. وكان تعدادهم يزيد عن السبعين مجاهد .. بقيادة الأخ الشيخ المجاهد عدنان عقلة — فك الله أسرهم وأسر إخوانه — عندما أرادوا أن يتجاوزوا الحدود السورية ليستأنفوا جهادهم ضد الطاغوت ونظامه الطائفي الفاسد .. حيث كان الأخ يتزل ظاناً أن الذين سيستقبلونه من جهة الأراضي السورية هم من الأخوة المجاهدين .. ولكن في حقيقة الأمر كانوا الذين يستقبلونه هم من جند الطاغوت ومخبراته بعد أن تصنعوا أنهم من الأخوة والمجاهدين .. ليأخذوه مباشرة إلى سجون الطاغوت .. ليعيش فتنتها ومحتتها .. وكنا في الخارج نعلم ذلك .. ولكن لم نكن نجرؤ أن نوقف استمرار نزول الإخوان .. أو إيقاف هذه المجرة البشعة بحق هؤلاء الصفوة من المجاهدين .. والذي كان منا يُحاول أن يفعل أو يتكلم .. كان مباشرة يُرمى — من قبل أولئك المزاولين من المتحمسين .. والمشوهين من ذوي الصوت العالي — بالجبن والتخاذل .. وأنه ضد الجهاد والمجاهدين !!..

وبعد أن تم الذي تم .. وحصل الذي حصل .. واعتقل الأخ عدنان ومن معه من أولئك الشباب المجاهد .. وانتعش النظام الطائفي وتنفس الصعداء بعد اعتقالهم .. فما كان من هؤلاء المزاولين في حماسهم .. الذين كمنوا الأفواه .. وأرهبوا كل صوت يُخالفهم .. سوى أن يتزلوا بإرادتهم مستسلمين ومبايعين للنظام النصيري البعثي .. وكعملاء رخصاء .. ومنهم — لكونه يُحسن المزادة والصياح في كل شيء حتى في العمالة والخيانة — من جُعل من المقربين من الطاغوت ونظامه؛ فأصبح عضواً في مجلس الشعب السوري!

القصص كثيرة .. وكثير من فصولها تتكرر في أكثر من مكان .. وزمان .. ولكن أين الذين يعتبرون .. الذين يقرؤون تجارب الغير ويستفيدون منها .. فلا يُلدغون من نفس الحجر الذي لدغ منه إخوانهم ممن سبقوهم في الجهاد!؟

ينكشف لهم مكنم الداء .. وسبب نزول البلاء أو المصاب .. فيعملوا على إزالته والتخلص منه .. لا ينبغي أن نُعطل العمل بواجب النصيحة الهادفة الراشدة — التي يجب أن تُعطى لجميع المسلمين خاصتهم وعامتهم — بحجة أن المجاهدين هم أعلم من على الأرض .. وأهم ينصحون ولا يُنصحون .. ولا يُخطئون .. وأهم لا يجتاحون إلى نصيحة الآخرين! فالدين كله النصيحة .. فمن لا ينصح لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم .. فلا دين له .. كما أن الناس كلهم في حسر .. ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

لا يمكن أن نتعامل مع النصيحة الراشدة المخلصة أياً كان صاحبها — وإن خالفت أهواءنا — باستعلاء .. واستخفاف .. واحتقار .. فالكبر — الذي يمقته الله ويمقت أهله — هو رد الحق واحتقار الخلق .. وهذا خلق شنيع بغيض .. يمحق كل بركة .. أعيد نفسي وإخواني من أن تتخلق به!

عندما تدنو الخطوب .. ويتزل البلاء .. لا بد للعقل من أن يُعطى فرصة للكلام والنظر .. وأن لا يُمارس عليه الإرهاب والتحجير .. كما لا بد للحكمة من أن تدلي بدلوها بكل حرية ومن دون أدنى خوف .. فإذا حُظِر على العقل ومُنِع من الكلام ورُمي عند كل أول حديث له بالخذلان .. والحكمة كلما تنفست وأدلت بدلوها رُميت بالجبن والتخاذل .. فعلى المجاهدين حينئذٍ السلام!

في كثير من الأحيان يكون الرأي السديد الموفق .. والقرار الحكيم الجريء .. أنفع للمجاهد وجهاده مما يحمله من عتاد وسلاح! الحماس مطلوب .. لكن الزائد منه يضر .. كذلك الأناة والروية .. ودراسة مضاعفات كل حدث .. مطلوبة .. لكن الزائد منها يضر .. ويُثقل العمل ويوقفه! كثير من الحركات الجهادية المعاصرة أوتيت من جهة الحماسة الزائدة .. وممارسة الإرهاب الفكري على العقل .. وعلى كل صوت يُعاكس تلك الحماسة الزائدة !!..